خُطبُ الشيخ

صَالِحِ بنِ عَبْدِالله بنِ حَمَدٍ الْعُصَيْمِيِّ

وَسْمُ الخُطبَة

مشاهد العودة إلى المدارس

مِفتاحُ الخطبَة

مَوْسِمُ الْعَوْدَةِ إِلَىٰ الْـمَدَارِسِ، فُرْصَةٌ يغتنمها التُّجَّارُ لِيَزِيدوا حَظَّهُمْ مِنَ الدُّنْيَا، وَجَدِيرٌ بِأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِالله، أَنْ يَغْتَنِمُوهُ لزيادة إِيمَانِهِمْ، وَذَٰلِكَ بِإِشْهَادِ قُلُوبِهِمْ جُمْلَةً مِنَ الْـمَشَاهِدِ، الَّتِي تَتَجَلَّىٰ فِي مَعَانٍ عِدَّة.

مِيلادُ الخطبَة

٢٠-١٠-١٤٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ الَّذِي يُبْدِئُ ويُعِيد، وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدًا يُبَلِّغُنَا فَضْلَهُ يَوْمَ الْـمَزِيد، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً خَالِصَةً مِنْ كُلِّ تَنْدِيد، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّين.

أمَّا بعدُ:

فَاتَّقوا اللهَ أيُّها الْـمُؤْمِنُونَ حَقَّ التَّقْوَىٰ، وَتَمَسَّكُوا مِنْ دِينِكُمْ بِعُرْوَتِهِ الْوُثْقَىٰ،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ (١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ (٢).

ثُمَّ اعْلَمُوا رَحِمَكُم الله أنَّ مَوْسِم العودة إلىٰ المدارِس، فُرْصَةٌ يغتنمها فِئَامٌ مِنَ التُّجَّار، لِيزيدُوا حظَّهم مِنَ الدُّنيا، وَجَديرٌ بأهلِ المعرفة بالله والعلم به، أن يغتنموه لزيادة إيمانهم، وتَرْسِيخ إيقانهم، وذٰلك بإشهاد قلوبهم جُمْلَةً من المشاهد، الَّتي تتجلَّىٰ في معانٍ عدَّة، فمن تلك المشاهد:

مَشْهَدُ طَيِّ الْأَعْمَار: فالصَّغير الَّذي كان بالأمس يدُبُّ في أوَّل السُّلَّمِ التَّعليميِّ في المرحلة الابتدائيَّة، ها هُوَ اليوم ينتقلُ إلىٰ المرحلةِ المتوسِّطة، والفتىٰ اليَافِع الَّذي كان يقبُعُ بين رُدُهَاتِ المدرسةِ المتوسِّطة، ها هُوَ يرتفع شابًّا ناهضًا إلىٰ المرحلةِ الثَّانويَّة، وذاكَ الَّذي كان في الثَّانويَّة، ها هُوَ يسابقُ اليوم إلىٰ المعاهدِ والجامعات، وما ذاكَ إلَّا صورةٌ بيِّنةٌ من طيِّ الأعمار، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا

---

(١) «سُورَة آلِ عِمْرَان» الآيَةُ: (١٠٢).

(٢) «سُورَة النِّسَاءِ» الآيَةُ: (١).

وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴾[1]، فما الترقّي في المراحلِ الدِّراسيَّة، إلَّا تقدُّمٌ في طيٍّ الأعْمار، ونَحْنُ معاشرَ الآباء والأمَّهاتِ إنْ كنَّا لا نترَقَّىٰ في السُّلَّمِ التَّعليميِّ إذْ فَرَغْنَا منه، فإنَّ ترقيةَ أبناءِنَا فيه إيذانٌ بطيِّ أعمارنا، قال الحسَن البَصْريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ابن آدم: إنَّما أنت أيَّام، فإذا ذَهَبَ منك يومٌ ذَهَبَ منك بعضُك، حتَّىٰ تذهبَ كُلَّك».

ومن تلك المشاهد العظيمة: **مَشْهَدُ الضَّربِ في الأرض**، فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَطَّأ الأرض لنا ممهَّدة، وأمَرَنا بالضَّرب فِيها، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[2]، وقال تعالىٰ: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ﴾[3]، فمِنْ مُثُل الضَّربِ في الأرضِ سَعْيُ الطَّلبةِ صَبَاحًا إلىٰ مدارسهم علىٰ اختلافِ مراحلِهَا، فهُوَ امتثالٌ لما أُمِرَ به ابنُ آدم مِنَ الخلافةِ في الأرض بعمارتِها، ومِنْ سلوكِ العِمارة السَّعيُ في تحصيل العلوم وجمعها، والمبادرة إلىٰ ذلك، فهو مشهدٌ من مشاهد الضَّرب في الأرض، الَّذي جعله الله عَزَّوَجَلَّ سبيلًا لعِمارَتِهَا، واستخْلَفَ الإنسان فيها.

ومن تلك المشاهد الَّتي تتجلَّىٰ عند العودة إلىٰ المدارس: **سعيُ الإنسان في أوَّل نهاره إلىٰ طلب ما يريد**، وهو بين حالين:

إحداهما: أن يكون ساعيًا في إنقاذ نفسه.

والآخر: أن يكون ساعيًا في إهلاكها.

ففي صحيح مسلمٍ مِنْ حديث يحييٰ بن سَلَّام، عن زَيْدِ بن سلَّام، عن أبي سلَّامٍ الحبشيِّ، عن أبي مالكٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كلُّ النَّاس يَغْدُو- أي يذهب في أوَّل يومه ساعيًا- فبائعٌ نفسه، فمُعْتِقُهَا أو مُوبِقُهَا».

---

(١) «سُورَة الرُّوم» الآيَةُ: (٥٤).

(٢) «سُورَة الملك» الآيَةُ: (١٥).

(٣) «سُورَة المزَّمِّل» الآيَةُ: (٢٠).

فهو بين حالين:

- أن يكون ساعيًا في إعتاقها مِنَ النَّار.

-أو أن يكون مهلكًا لها، وذٰلك بإتيان الأعمال الَّتي تجعله مِنْ أهلِ النَّار.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُون، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوه؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم.

الْـحَمْدُ لله حَمْدًا حَمْدًا، وَالشُّكْرُ لَهُ تَوَالِيًا وَتَتْرَىٰ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهمَّ صَلِّ عَلَىٰ محمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

أَمَّا بَعْدُ:

أيُّها المؤمنون: إنَّ مِنَ المشاهدِ الجليلة عند مَوْسِم العودة إلىٰ المدارس **مَا يَتَمَثَّلُ مِنْ نَفِيرِ الآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ فِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ**، مكثِّرينَ الخلقَ في الطُّرق، تَذْكِيرًا بيوم القيامة، الَّذي قال الله ﷻ فيه: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1]، فاتَّخذوا أيُّها المؤمنون مِنَ الإشاراتِ الظَّاهرة، في أَحْوالِ مَوْسِم العودة إلىٰ المدارس، مَا يُنَبِّهُ قلوبكم، ويُرشِدُكم إلىٰ مصالحكم العُظْمىٰ في الدُّنيا والآخرة، فإنَّ السَّعيد اللَّبيبَ مَن وُعِظ بهٰذه الأحوال، وَتَغيَّرَ مِنْ حال النَّقص إلىٰ حال الكمال، فاسترشدوا بما يظهرُ لكم مِنَ المنبِّهات، علىٰ ما تزدادوا به غنمًا عند ربِّ الأرض والسَّماوات.

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا،

اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّتِنَا أَبَدًا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا،

اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا،

---

(١) «سُورَة المعارج» الآيَةُ: (٤٣-٤٤).

اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ فِتْنَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَخَافُكَ فِينَا وَلَا يَرْحَمُنَا،

اللَّهُمَّ آمِنِ المسْلِمِينَ فِي دُورِهِمْ، وَأَصْلِحْ أَئِمَّتَهُمْ وَوُلَاةَ أُمُورِهِمْ، وَاجْعَلْ وَلِايَتَهُمْ فِي مَنْ خَافَكَ وَابْتَغَىٰ رِضَاكَ،

اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا شَرَّ الْأَشْرَار، وَكَيْدَ الْفُجَّار، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ، وَنَدْرَأُ بِكَ فِي نُحُورِهِمْ،

اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا،

اللَّهُمَّ فَرِّجْ كُرَبَ المكْرُوبِينَ، وَنَفِّسْ هُمُومَ المهْمُومِينَ، وَاقْضِ الدَّيْنَ عَنِ المدِينِينَ، وَأَطْلِقْ أَسْرَى المسْلِمَيْنَ، وَاشْفِ مَرْضَنَا وَمَرْضَانَا وَمَرْضَى المسْلِمِينَ،

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾[1].

---

(١) «سُورَةَ العَنْكَبُوتِ» الآيَةُ: (٤٥).